بهذه الاربعة في الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا والآخرة أما التشديد في الدنيا فهو ما
تقدم من تحريم الطيبات عليهم وأما التشديد عليهم في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى واعتدنا للكافرين
منهم عذابا أليما قال المفسرون إنما قال منهم لأن الله علم أن قوما منهم سيؤمنون فيأمنون من
العذاب قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم يعني من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل
من آمن من أهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم في الآيات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال الجهال
اليهود والجهال منهم وبين في هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وأرشده العمل بما علم فقال
لكن الراسخون في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون في العلم الثابتون في
العلم البالغون فيه أولو البصائر الثابتة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام وأصحابه
الذين أسلموا من أهل الكتاب لأنهم رسخوا في العلم وعرفوا حقيقته فأوصلهم ذلك إلى الإيمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يعني بالله ورسله يؤمنون بما أنزل إليك يعني بالقرآن الذي أنزل
إليك وما أنزل من قبلك يعني ويؤمنون بسائر الكتب التي أنزلها الله على سائر أنبيائه من قبلك
يا محمد وفي المراد بالمؤمنين ها هنا قولان أحدهما أنهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في
العلم وهم المؤمنون والقول الثاني أنهم المهاجرون والأنصار من هذه الأمة فيكون قوله والمؤمنون
ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما أنزل إليك يعني أنهم يصدقون بالقرآن الذي أنزل إليك يا محمد وما أنزل
من قبلك والمقيمين الصلاة اختلف العلماء في وجه نصبه فحكي عن عائشة وأبان بن عثمان أنه
غلط من الكتاب ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلاة قال عثمان بن عفان إن في المصحف لحنا ستقيمه العرب
بألسنتها فقيل له ألا تغيره فقال دعوه فإنه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة
وسائر العلماء من بعدهم إلى أنه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عما روي عن
عثمان بن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان بأن هذا بعيد جدا لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة
والفصاحة والقدوة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي أن ينسب
هذا إليهم قال ابن الأنباري وما روي عن عثمان لا يصح لأنه غير متصل ومحال أن يؤخر عثمان شيئا فاسدا
ليصلحه غيره ولأن القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون ثبوت
اللحن فيه وهذا قال الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف
وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في
النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على أمثلة وشواهد وربما
غبي عليه أن السابقين الأولين الذين كانوا مثلهم في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا
في كتاب الله عز وجل ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم ثم اختلف العلماء في
المقيمين الصلاة أهم الراسخون في العلم أم غيرهم على قولين أحدهما أنهم هم وإنما نصبه على المدح
والمعنى أذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد
ونعته إذا تطاولت بمدح أو ذم فربما خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحيانا ثم رجعوا بآخره إلى إعراب
أوله وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب واستشهدوا
على معنى الآية

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر

وهذا على معنى أذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا البعض نحو أخا بني قومك المطعمين وهم المعيبون
والقول الثاني أن المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على
قوله بما أنزل إليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
وبالمقيمين الصلاة وهم الأنبياء لأنه لم يخل شرع أحد منهم من إقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة

لأنهم يسبحون

٢٠٩

لأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ووجه الزجاج القول الأول واختاره ووجه الطبري القول الثاني واختاره رد يسر
وقوله تعالى والمؤتون الزكاة عطف على والمؤمنون لأنه من صفتهم والمؤمنون بالله واليوم الآخر
يعني والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب والعقاب أولئك يعني من هذه
الأوصاف صفته سنؤتيهم أجرا عظيما يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع
أمره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده
قال ابن عباس قال مسكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى
فأنزل الله هذه الآية وقيل هو جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل
عليهم كتابا من السماء جملة واحدة فأجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال إنا أوحينا إليك
يا محمد كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده والمعنى أنكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع
الأنبياء المذكورين في هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى أن الله تعالى أوحى إلى هؤلاء الأنبياء
وأنتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما أنزل الله على أحد من هؤلاء المذكورين كتابا جملة واحدة
مثل ما أنزل على موسى فلما لم يكن عدم إنزال الكتاب جملة واحدة على هؤلاء الأنبياء قادحا في نبوتهم
فكذلك لم يكن إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد أنزل عليه كما ميوفا
أنزل عليهم قال المفسرون وإنما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لأنه أول نبي بعث بشريعة
وأول نذير على الشرك وأنزل الله عز وجل عشر صحائف وكان أول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك عليه
أهل الأرض بدعائه وكان أبا البشر بعد آدم عليهما السلام وكان أطول الأنبياء عمرا عاش ألف سنة
لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على أذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الأنبياء
من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الأنبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال
وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وهم أولاد يعقوب وكانوا اثني
عشر وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا يعني وآتينا داود كتابا
مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي أنزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس
فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتحميد وثناء على الله تعالى عز وجل ومواعظ وكان
داود عليه السلام يخرج إلى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم علماء بني إسرائيل خلفه ويقوم
الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الشياطين والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال الناس
فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤوس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتعجبون منها فلما قارف
الذنب زال عنه ذلك وقيل إنه كان ذلك أنس الطاعة وهذا ذل المعصية وعن أبي موسى الأشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك لقد أعطيت مزمارا من مزامير
آل داود وقال الحميدي زاد البرقاني فقلت والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرتها
لك تحبيرا التحبير التحسين بالقراءة وقال العلماء إنما لم يذكر موسى في هذه الآية لأن الله أنزل عليه
التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الأنبياء في الآية أنه لم ينزل على أحد منهم كتابا
جملة واحدة فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام قوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل
لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فأنزل الله هذه الآية وقيل ذكر موسى
عليه السلام والمعنى وأوحينا إلى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم في القرآن وعرفناك
أخبارهم وإلى من بعثوا وما ورد عليهم من قومهم ورسلا لم نقصصهم عليك أي لم نسمهم لك
ولم نعرفك أخبارهم قال أهل المعاني الذين ذكرهم الله من الأنبياء يدل على تفضيلهم على من
لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة
لأن تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك لأن أفعال كلام

Copyright King Saud University